الخاتمـــة

الخاتمة

سمت هذه الدراسة لأن تثبت الأتى :

(١) عمق الصلة التى تربط شخصية الفتوة بما تحمله من مضامين حديثة بالتراث العربى والإسلامى، حيث تمتد جذورها إلى العصر الجاهلى مرورا بالعصر الإسلامى ، مع التركيز على دور النبى الكريم ﷺ ، والإمام على بن أبى طالب فى هذا المجال ، واصطباغ كتب السيرة بالروح الإسلامية ، ووجود البعد القومى الذى يطل بوضوح خلال الصراع ، وحرص السير على إنسانية وبشرية الأبطال مع تدعيم حكاياتها بالخوارق والمعجزات ، وحاجة العامة للبطل الشعبى حين يختل النظام ، ويضيع الأمن ، وتتشغل السلطة فى مكاسبها . فى هذه الحالة يصبح البطل الشعبى (الفتوة) هو المنقذ والملهم وهو المجسد لآمال الكثيرين ، وأهمية الدور الواضح لفتوات الحارات أثناء الحملة الفرنسية على مصر ، وأثناء ثورة سنة ١٩١٩ ، ومساندة الوفد وسعد زغلول . ودور الشرطى الأساسى والتعليم فى زوال الشكل التقليدى للفتوة مخلفة وراءها فتوة جديد ، فى شكل جديد يعتمد على العم والتقنيات الحديثة وعلى أعنى أجهزة المخابرات وأشد شبكات الاتصالات تعقيدا وكفاءة .

(٢) استفادة الكاتب من التقنيات الحديثة فى رسم وتطوير هذه الشخصية حيث تراوحت شخصية الفتوة فى التنوع ما بين النمطى الذى يأخذ شكلا واحدا كما فى أولاد حارتنا ، وبين المعقد والمطور المركب كما فى الحرافيش ، والتأثير الواعى بإبداعات المحدثين فى الغرب ، فنجد أنه يستخدم تيار الوعى والرمز ، ومعظم تقنيات الكتابة الحديثة ، وجدلية العلاقة بين الفتوة والبطل بما يتمتعان من سحر ونفوذ على العامة ، وتوحد شخصية الفتوة فى البطل حين تطمح إلى إزالة الظلم وإرساء معالم مجتمع جديد ، وتتباين وتختلف وتنأى عن البطل حين تساند الطغيان ، وتسد منابع النور والعدل فى مجتمعها .

(٣) وجود ملامح مشتركة سواء فى الشكل أو التكوين الداخلى بين شخصيات نجيب محفوظ فى رواياته المختلفة وقصصه القصيرة ، حيث نجد ملامح من شخصية السيد أحمد عبد الجواد تظهر فى الجبلاوى وفى الراوى الكبير ، وفى عاشور الناجى . وإمكان تحقيق مجتمع العدل والكفاية والجنة الأرضية كما حققها عاشور الأول ، وكما أحياها عاشور الحفيد . وهذا يناقض مقولات الدكتور الربيعى فى استقلالية الأعمال الأدبية ولكن الباحث يشير إلى ضرورة النظرة الشاملة لمجمل الأعمال الأدبية والروابط التى تربط بينهم على الرغم من أن كل عمل يتمتع بذمة أدبية مستقلة .

(٤) اقتران العدل بالقوة المسلحة ، فلم نجد مرة واحدة دعوة الإصلاح تمت بطريقة سلمية ، وهذا يؤكد ضرورة القوة فى مجال الدعوة السلمية .

(٥) توجد فوارق وملامح مختلفة فى شخصية الفتوة حيث نجد الفتوة الأنانى البلطجى ، الفتوة المستبد الذى قد يبدأ عادلا ثم ينحرف بسبب نفاق البطانة المحيطة به .

(٦) وجود ارتباط لا ينفصم بين سلطة الفتوات فى أولاد حارتنا ، والقذارة وانتشار الأمراض وسوء المعيشة ، حيث يصبح الموت أمنية عزيزة للإنسان ، من خلال هذا الطرح تتجلى سمات المكان النظيف ، والمكان القبيح وشروطه ، ولهذا نجد عاشور الناجى الأول يضطلع بمهمة نظافة الحارة من الزبالة والقذارة التى تجلب الأمراض والأوبئة ، ونجد أيضا عاشور الحفيد يطهر الحارة من القذارة الروحية ومن مخلفات الشرك بهدم المئذنة الملعونة .

(٧) نسبة العدل والإنسانية فى فتوات الحرافيش لا تزيد عن عشرين فى المائة ، وزيادة نسبة الاستبداد عن ٥٠% ، وتمتع المرأة بدور هام وحاسم فى رحاب الفتوة بما لها من تأثير قوى وباهر على شخصيته مع ذكر نموذج لفتوة المرأة التى فاق دورها أو تساوى مع دور الفتوة الذكورى (زهيرة آل الناجى) مع وجود نسبة بسيطة للجنون والشذوذ فى حدود (خمسة فى المائة) لكل منهما ، وتأثير الكلمة وسحرها الطاغى فى التحريض (شخصية فتح الباب) ولكن بلا قوة فتستحيل إلى حلم مشرق قصير .

(٨) خصوصية الزمن فى أولاد حارتنا حيث يتعاقب الليل والنهار ، والصباح والمساء يرتبط ببناء الرواية حيث تضع تقويمها الخاص بعيدا عن أى تقويم خارجى ، مما يجعلها تنطبق على أى زمان ، وأى مكان وأى حقبة تاريخية ، وهذا ما يسمى (عمومية الزمن) وخصوصية الزمن أيضا من خلال القدرة على اختصاره ، وعمر الشخصيات ، وأن التكرار له ضرورة فى ربط أجزاء وفصول الرواية وتقوية تدفقها النفسى . وتعدد أشكالها فنجد تكرار الأسماء حيث تلح على معانى معينة أو تستدعى ذكريات خاصة أو توحى بأحداث قادمة .

(٩) انصهار العلم فى الجماعة ، وتوحد الحلم فى إقامة مجتمع يقوم على العدل والحرية والنظافة ، وضياع العلم مؤكد حيث يبتعد عن قاعدته الأخلاقية التى يستند عليها ، فيتحول إلى قوة تدميرية فى أيدى السلطة .

(١٠) قوة تأثير المكان فى الشخصية ، حيث يفرض المكان على الشخصية سلوكا طموحا ، ويصبح لضياع المكان وفقدانه دلالته على ضياع الشخصية وعدم توازنها النفسى والاجتماعى ، وهذا واضح فى كثير من أعمال الكاتب . علاقة المرأة بالمكان حين تصبح رمزا ومعنى . وقد برع فى استخدام المكان للتعبير عن رموز متعددة متراكبة (كحالة الجبل ودولة قاسم) .

(١١) تمتع أعمال الكاتب بمستويين من القراءة والتأويل حين يضع الكاتب أبطاله ويبث رموزه فتتجلى الشخصيات لتعكس موروثها الدينى المختلف حسب كل حالة مع التأكيد على زوال عبودية الفرد للفرد مهما طال الزمن ومن هنا يمكن تفسير شخصيات (قاسم — رفاعة — جبل) على أنها شخصيات تمثل الأديان وليست شخصيات أنبياء فيصبح عرفة هو العلم بالقانون

والدستور والمخترعات الحديثة . ومن هنا تظهر مثل شخصية الجبلاوى (من منظور سياسى) كأى باشا إقطاعى فى عهد الملكية أو أى وجيه من وجهاء الانفتاح بما يتمتع من سلطة وهيمنة .

(١٢) سيطرة منطق العنف والإرهاب وعدم احترام مواثيق الشرف لأن السلطة المستبدة لا تعترف إلا بالقوة ، ويصبح القتل نوعا من فرض الهيبة وترسيخها . ويصبح العقاب بلا تحقيق أو سند قانونى حيث تتجلى المقولة الخطيرة أن الناس يخضعون للقوة لا للشرف.

(١٣) جدلية الصراع بين النظام العادل والفتوات فمن رحم الظلم والجبروت تتخلق بذرة تكبر وتتنامى وتتفرع ثم تقف للتحدى . هذه البذرة ليست من بيئة خارجية ولكنها من صنع النظام نفسه ، وكبرت تحت عيونه (حركة الضباط فى يوليو خرجت من صفوف الجيش الملكى) ، وجبل تربى فى حضن الناظر ، وفتح الباب تربى تحت سيطرة ورعاية الفتوة الظالم . وبعد كل فترة ظلام يعقبها نور وعدل سرعان ما يضيع نتيجة أمراض الحارة المزمنة ، وأولها النسيان والسكوت عن الظلم ، فيتعاقب الظلم والعدل كتعاقب الليل والنهار ، ولكنه نهار كنهار الشتاء يعقبه ليل طويل .

(١٤) تطابق أنظمة السلطة فى العهود المختلفة من عهد جبل ، رفاعة ، قاسم ، عرفة ، ناظر ، ثم فتوة أكبر تحته فتوات أصغر ثم أهل الحارة ، كما هو ظاهرة فى تطابق السلطة فى العصور المختلفة (أ، ب، ج، د) ، يعاد تشكيل هذا المثلث باختصاره بعد موت عرفة فيختفى الجبلاوى من رأس المثلث والفتوات التقليديين بعد أن حل محلهم سلاح عرفة الجديد .

(١٥) توحد الأهداف والمطالب بين مطلق الدين ومطلق العلم على مستوى الرواية ، حيث تسعى جميع الأديان إلى سعادة البشر وتحقيق العدل بمفهومها الواسع وإلى إزالة الظلم والجبروت والطغيان وكافة أشكال القهر النفسى والاجتماعى .

(١٦) خطورة دور الدعاية والإعلام ممثلة فى شفرة الرباب حيث يضطلع بثلاث مهام رئيسية أولها الحفاظ على تراث البشرية من الضياع ، الدعاية والمساندة للنظام السائد التبشير بعدل مفتقد وضائع ، تمتزج هذه المهام جميعا وتأتلف لتحمل فى طياتها التناقض والانسجام ، ومن خلال شفرة الرباب نكتشف خطورة جهاز الراديو ، التليفزيون ، الأطباق الصناعية ، الشعراء ، الكتاب، المؤرخين وقد تتغير شكل الشفرة لكن وظيفتها تبقى كما هى ، وتبقى لذة الاستماع كإحدى ميزاتها الخاصة .

(١٧) رد المجتمع والناس إلى منابع الصفاء والإلهام والسعادة ، فطوال الصراع فى أولاد حارتنا ، يحاول الأبطال أن يجعلوا الحارة امتدادا للبيت الكبير ، وفى الحرافيش يصارع الأبطال كى تعود الحارة (المجتمع) إلى لغة الأناشيد الصوفية (رمز) النقاء والصفاء فى النفس البشرية ، وقد أظهرت الدراسة أن هذه الأناشيد لم تنقطع أو تختفى طوال مسيرة الحرافيش حتى فى أحلك الأوقات وأشدها انحرافا وشذوذا .

(١٨) كيفية تحول شخصية الفتوة وبما تمثله من عقيدة سياسية إلى عقيدة دينية ، فيكون التعرض لـها أو محاولة نقدها يمثل خطيئة لا تغتفر يستلزم عقابا فوريا فى معظم الأحيان وهذا سيظهر مـدى تعصب وحساسية السلطة السياسية تجاه أى نقد مباشر ، وقد تكون الخطيئة قابلـة للغفـران فـى الدين ولكن من النادر جدا أن تجد من يغفرها فى السياسة ، تظهر هذه الشخصية مدى الحاجـة الماسة إلى حاكم عادل يستشعر نبض العامة ويعبر عن آمالهم ويطلع على مشاكلهم ويخفف عنـهم الهموم والآلام ، إن إبداعات الكاتب رسالة إنذار ضد الظلم وضد استبعاد البشر وهى رسالة لكـل من الحاكم والمحكوم .

(١٩) خطورة الصراع بين القوى الكبرى حيث يقوم الفقراء دائما بتسديد فاتورة الحسـاب مشـمولة بالهوان والمذلة ، وهو ما حدث على مستوى القص الأدبى فى مجموعة الشيطان يعـظ (الرجـل الثانى) وعلى مستوى الواقع حيث دفع العرب ومازالوا يدفعون الكثير من الدماء والأموال نتيجـة اشتراكهم فى الصراعات العالمية .

(٢٠) وجود شخصية الفتوة فى خمس روايات (أولاد حارتنا — الحرافيش — حكايـات حارتنـا — الحب تحت المطر — قلب الليل) وإن كانت الروايات الثلاث الأولى تضـم أكـثر الشـخصيات خطورة وجدلا وتطورا ، هذا بالإضافة إلى وجود (الفتوة) فى مجموعات قصصية (بيـت سـئ السمعة — شهر العسل — الشيطان يعظ — خمارة القط الأسود — الحب فوق هضبة الـهرم) ومن خلال عرض الشخصية فى القصص القصيرة نتعرف على وجوه جديدة أو نرصد تغـيرا أو تكرارا فى موقف المؤلف نفسه .

(٢١) معظم التيمات المطروحة فى أولاد حارتنا ، نجد لها صدى قويا فى معظم النتاج المحفوظـى ، فموضوع (الحشيش) مثلا يعاد طرحه ومعالجته أكثر من مرة .